

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج

٢٢٢١٠٠٢

طرق الحج
من الميقات إلى مكة المكرمة

الباحثان

د. أسامة بن فضل البار   د. معراج بن نواب مرزا

مقدم إلى

ندوة الأبعاد الحضارية لطرق الحج

القاهرة ١٤ ـ ١٦/٤/١٤٢٣هـ

طرق الحج من الميقات إلى مكة المكرمة

الباحث الرئيس :

د. أسامة بن فضل البار . عميد معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج.

د. معراج بن نواب مرزا . الباحث بالمعهد .

مقدمة :

تفد أعداد متزايدة من الحجاج إلى مكة المكرمة عبر المنافذ الجوية والبحرية والبرية وتستخدم شبكة من الطرق المعبدة على أحدث المواصفات العالمية للوصول إلى مكة المكرمة المقصد والقبلة للحاج والمعتمر .

ومنذ بزوغ فجر الإسلام بجزيرة العرب والمسلمون يتوافدون لأداء فريضة الحج الركن الخامس من أركان الإسلام عبر طرق عرفت بطرق الحج وقسمت جغرافياً تبعاً لجهة المنبع كطريق الحج الشامي وطريق الحج العراقي وغيرها .. وتمثل المواقيت جزءاً هاماً من طرق الحج لكونها المعابر الوحيدة التي يدخل من خلالها الحجاج والمعتمرين إلى مكة المكرمة قاصدين بيت الله الحرام .

وكان الحجاج من شتى بقاع العالم الإسلامي يسلكون دروباً محددة وطرقاً واضحة المعالم تتوفر فيها المياه وبعض وسائل الراحة والأمان ، ومن أشهر تلك الطرق التي سلكها الحجاج عبر أكثر من أربعة عشر قرناً هي :

١. طريق الحج العراقي :

أ- طريق حج الكوفة – مكة (درب زبيدة)

ب- طريق حج البصرة – مكة .

٢. طريق الحج الشامي .

٣. طريق الحج المصري .

٤. طريق الحج اليماني :

أ- طريق صنعاء – مكة الساحلي .

ب- طريق صنعاء – مكة الداخلي .

٥. طريق الحج العماني :

أ- طريق عمان – اليمن – مكة الساحلي .

ب- طريق عمان – اليمامة – مكة الداخلي .

تعرض الورقة إلى أهمية مواقيت الحج ومواضعها قديماً وحديثاً وتسجل التغيرات العمرانية لهذه المواقيت وتوثق الجهود العظيمة المبذولة من قبل المملكة العربية السعودية لأعمار بيوت الله بالمواقيت وتجهيزها بكافة متطلبات الحاج والمعتمر ، كما تعرض الورقة إلى الاوضاع القائمة لطرق الحج حالياً وعلاقتها بالمواقيت وبمكة المكرمة مع مقارنة تاريخية للاختلافات الجغرافية للطرق قبل وصولها إلى مكة المكرمة .

كما هو معلوم أن المواقيت المكانية خمسة كلها رادفت أسماءها التاريخية أسماء تطلق عليها الآن . وهذه الأسماء الجديدة إما إحلال فقط للأسماء بدلاً من القديمة لنفس المواقع أو لأسباب ترتبط باندثار الميقات أو زحزحته في الماضي ، هذه المواقيت هي :-

- ذو الحليفة (أبيار علي) .
- الجحفة (رابغ) .
- ذات عرق (الضريبة) .
- قرن المنازل (السيل الكبير) .
- يلملم (السعدية) .

وقد جمع هذه المواقيت نظماً بعض المعلمين بقوله :

عــرق العراق يلملـم اليمـــن   وبذي الحليفة يحــرم المدنـــي

والشام جــحفة إن مــررت بــها   ولأهـــل نجـد قرن فاســتبن

شمل أربعة من هذه المواقيت حديث ابن عباس رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم وقّت لأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل الشام الجحفة ولأهل نجد

قرن المنازل ولأهل اليمن يلملم ، وقال ((هن لهن ولمن أتى عليهن من غيرهن لمن أراد الحج والعمرة ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة)) متفق عليه .

أما الميقات الخامس فقد اتفق الفقهاء على موضعه وإن اختلفوا فيمن وقّته . فبعضهم يرجعه إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم وقّت لأهل العراق ذات عرق ، رواه أبو داود والنسائي . جاء أن توقيت ذات عرق اجتهاد من عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما رد في البخاري .

ويلاحظ في المواقيت عموماً ما يلي :

- أنها جميعاً مرتبطة بالطرق والدروب والمسالك التاريخية للمسافرين للأراضي المقدسة وأن توقيتها هي بالذات إنما كان تيسيراً فلم يتغير طريق أو مسلك ولم يلو درب أو ينحرف نحوها إنما هي على الطرق المعهودة أو ما ينبغي أن يكون طريقاً سهلاً .

- ثلاثة منها في مناطق مرتفعة مرتبطة بجبال السروات هي : قرن المنازل وذات عرق وذو الحليفة ، اثنان في السهل الساحلي هما : الجحفة ويلملم .

- أنها جميعاً مرتبطة بموارد المياه وبأودية كبيرة فهي إما قرى أو مواقع على أودية قريبة منها وتتيسر فيها المياه من الآبار السطحية التي تغذيها تلك الودية .

- أنها جميعاً في جهات محيطة إحاطة غالبة للحرم ، فذو الحليفة يقع في الشمال والجحفة في الشمال الغربي بينما ذات عرق في الشمال الشرقي وقرن المنازل في شرق الشمال الشرقي وإلى الجنوب من ذات عرق ، ويلملم في الجنوب .

• أن بعضها أبعد من البعض الآخر كما سترد الأبعاد بالتفصيل وقد قالوا في الحكمة من إبعاد ذي الحليفة وتقريب غيرها أن إبعاد الأولى تعظيم لأجور أهل المدينة وتقريب غيرها رفق بأهل الآفاق (البطاشي ، ١٩٨٠ م) .

بعد هذه اللمحة العامة عن المواقيت يدخل البحث في تفاصيل البيئة المحلية الخاصة بكل ميقات وربط الدراسة بشيء من تاريخ الميقات وما يرتبط بتسميته والطرق المتجهة منه إلى مكة المكرمة .

أولاً : ميقات ذي الحليفة (أبيار علي) جغرافياً :

يقع مسجد ميقات ذي الحليفة إلى الشمال مباشرة من مكة وإلى الجنوب الغربي من المدينة المنورة ويبعد عن المسجد الحرام بـ ٤٣٣ كيلاً ، وعن المسجد النبوي الشريف حوالي ١٠ أكيال ، كما يبعد عن مفرق طريق ميقات الجحفة بـ ٣٤٥ كيلاً ومن مفرق رابغ ــ المدينة المنورة على الخط السريع بـ ٣٠٠ كيلاً.

أما موقع مسجد ميقات ذي الحليفة فلكياً فهو يقع عند تقاطع دائرة عرض ٤٤،٢٤َ،٢٤ْ شمالاً وخط طول ٣٣،٣٢َ،٣٩ْ شرقاً[1] ، على ارتفاع ٦٤٠ متراً فوق مستوى سطح البحر.

يقع مسجد الميقات تماماً على الضفة اليمنى لوادي العقيق للمتجه إلى مكة المكرمة ، وإلى الشمال منه يقع جبل غرابة بارتفاع ٩٠٠ متر وإلى الجنوب مجرى وادي العقيق ، والى الشرق والجنوب الشرقي يقع جبل عير ، حد حرم المدينة المنورة الجنوبي ، بارتفاع ١٠٠٠ متر حيث يمر وادي العقيق بينه مبين مسجد الميقات وإلى الغرب من مسجد الميقات يوجد سهل واسع يعرف بالدعيثة تسيل مياهه نحو وادي العقيق ، بدأ العمران ينتشر فيها ، بصورة عامة فإن مسجد

---

(1) تم تحديد الموقع باستخدام جهاز تحديد المواقع العالمي (GPS) Magellan 5000D وكذلك خريطة المدينة المنورة (جنوب) مقياس رسم ١: ٥٠,٠٠٠

ميقات ذي الحليفة يقع بين طريق المدينة ، جدة ، مكة السريع وبين طريق المدينة ، بدر ، رابع ، جدة القديم تربط بينهما سكة توصل إلى مسجد الميقات .

الوادي المسمى بالعقيق الذي يقع على ضفته مسجد الميقات يستمد مياهه من الجنوب عند تقاطع دائرة عرض ٢٠،٣٣،٢٣ شمالاً وخط طول ٣٠،٥٠،٣٩ شرقاً حيث يتقاسم الماء عند منطقة جبلية يصل ارتفاعها إلى ٢٠٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر مع وادي الفرع المتجه نحو الغرب ليصب في البحر الأحمر عند بلدة مستورة . ويذكر الرحالة المؤرخ الشيخ عاتق ابن غيث البلادي[1] أن هذا الوادي يسمى أعلاه وادي النقيع وفي وسطه عقيق الحسا وأسفله عقيق المدينة حيث يلتقي مع وادي قناة (وادي العاقول) القادم من عالية نجد في منطقة تسمى زغابة (العيون) أو الخليل شمال غرب جبل أحد ، وبعدها يواصل سيره باسم (وادي إضم) أو ما يعرف اليوم بوادي الحمض ليصب في البحر الأحمر جنوب مدينة الوجه شمال غرب المدينة المنورة .

يعد وادي العقيق من الأودية الكبيرة ، حيث يمتد من منابعه إلى أن يصل المدينة المنورة قرابة ١٥٠ كيلاً ، وتحف به من الشرق حرة النقيع وهي جزء من حرة رهاط ومن الغرب تسايره جبال قدس قرابة ١٢٠ كيلاً وله روافد كثيرة ومتعددة تصب فيه من الشرق والغرب ، وهذا ما جعله من أهم أودية المدينة المنورة وذلك نظراً لغزارة مياهه وقلة ملوحتها إضافة إلى خصوبة تربته حيث كان في السابق متنزهاً من متنزهات المدينة المنورة ، أما اليوم فإن أسفله أصبح يمر بين المناطق السكنية في غرب المدينة المنورة وشمال غربها .

الدرب الحالي للقادم من ميقات ذي الحليفة إلى مكة المكرمة:

يمر القادم من ميقات ذي الحليفة إلى مكة المكرمة عبر الجادة المسلوكة وهي على شكل طريق سريع حر مكون من ثلاث مسارات في كل أتجاه ، في الوقت الحاضر بالأماكن التالية:

---

[1] أنظر قلب الحجاز (بحوث جغرافية وتاريخية وأدبية) الطبعة الأولى ، (مكة المكرمة : دار مكة المكرمة للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٥هـ) ، ص ١٧٢ — ١٨٢ .

آبار الماشي ــ وادي ريم ــ وادي الفرع ــ الهندية ــ الفريش ــ الأكحل ــ مفرق مهد الذهب ــ الحمنة ــ المواريد ــ الفارع ــ الأبيار ــ وادي ستارة ــ المسماة ــ الظبية ــ وادي قديد ــ خليص ــ عسفان ــ غران ــ الجموم ــ النوارية ــ التنعيم ــ حي الزاهر ــ حي جرول ــ شارع جبل الكعبة ــ المسجد الحرام (باب الملك فهد) .

ميقات ذي الحليفة تاريخياً:

يتناول الإمام أبو إسحاق الحربي رحمه الله تعالى في شيء من الإسهاب الحديث عن ميقات ذي الحليفة مشعراً من مشاعر النسك ، وأثراً طاهراً مباركاً من آثار النبي صلى الله عليه وسلم بما يقدم صورة تاريخية مهمة عن هذا المكان في عهوده الأولى ، مدوناً رواياته بسلسلة سنده ، يتم الاكتفاء هنا بذكر الصحابي ومن روى عنه " ذو الحليفة " ، وهي الشجرة : عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا خرج إلى مكة صلى في المسجد الشجرة .

وزعم زبير محمد بن الحسن عن مالك ابن أنس عن نافع أن النبي صلى الله عليه وسلم أناخ بالبطحاء الذي بالحليفة ، وصلى بها ، (وبسنده إلى) نافع أن ابن عمر أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذي الحليفة حين يعتمر ، وفي حجته حين حج ، تحت شجرة في موضع المسجد الذي بذي الحليفة ، وكان إذا قدم راجعاً من غزو وان في تلك الطريق ، أو حج ، أو عمرة هبط بطن الوادي ، فإذا ظهر من بطن الوادي أناخ بالبطحاء التي على شفير الوادي الشرقية فعرس ثَمَّ ، حتى يصبح ، فيصلي الصبح ليس عند المسجد الذي من حجارة ، ولا على الأكمة التي عليها المسجد ، كان ثَمَّ خليج يصلي عبد الله عنده في بطن كثيب ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثَمَّ يصلي ، فدخل السيل بالبطحاء حتى دفن ذلك المكان الذي كان عبد الله يصلي فيه .

ومن المدينة إلى ذي الحليفة خمسة أميال ونصف . وبها عدة آبار . والمسجدان لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

المسجد الكبير الذي يحرم الناس منه ، وهو على يمين المصعد ، والآخر مسجد المعرس وهو (دون مصعد البيداء) ناحية عن هذا المسجد يسرة ، فيه عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منصرفه من مكة .

ثم البيداء فوق ذي الحليفة إذا أصعدت في الوادي ، في أولها بئر ، ومن ذي الحليفة أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

...عن سالم عن ابن عمر أنه كان يلقى البيداء ويقول: " إنما أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد "[١] .

كانت ذي الحليفة في القرن الرابع عشر ، ومطلع الخامس عشر ضاحية من ضواحي المدينة على الطريق القديم من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ، يخرج إليها أهل المدينة للتنزه ، واستنشاق الهواء النقي ، كما يقصدها الحجاج والمعتمرون للصلاة في مسجدها للشروع في أعمال المناسك ، وقد تحدث عنها في هذه الفترة العلامة المؤرخ الشيخ إبراهيم بن علي العياش المدني رحمه الله واصفاً ما كانت عليه من نشاط زراعي ، والآلات المستخدمة في رفع مياه الآبار التي كانت مشتهرة ومنتشرة في مزارع المدينة معروفة بإيقاعاتها العالية " هذه المنطقة (حليفة المحرم ، والمعرس) تعرف بالشجرة ذات آبار ومزارع على مدى شقي العقيق من جانبه الشرقي والغربي تتجاوز في مجموعها ثلاثين بئراً حية ، عليها المكائن الزراعية ، وتحتوي على مسجدين أثريين ، وسكانها اليوم خليط من عوف ، ومزينة ، والقراف ، ومعظمهم من عوف ، ومن أعيانهم أبناء محمد بن سويعد القرافي وغيرهم .

لقد ذهب يوم السانية ، وغربت شمسه إلى غير رجعة ، فلا ترى ولا تسمع إلا دقات المكائن تعلن عن جهادها المضني في آبارها الشحيحة ، والتي هي في حاجة دائمة إلى استجمام "[١]

كما يذكر المؤرخ العياشي رحمه الله تعالى الأسواق والمرافق التي أنشئت فيها قبل أن يمتد إليها البناء من المدينة المنورة وتتسع وتنتظم المرافق بها قائلاً:

---

[١] كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، ص ٤٢٥ – ٤٢٨ .

[١] المدينة المنورة بين بين الماضي والحاضر ، الطبعة الأولى ، (المدينة المنورة : محمد سلطان النمنكاني ، عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ، ص ٤٦٨ .

" وقد أقيم سوق بدائي بين البيداء وبين الحليفة ، وفيه كل ما يحتاج إليه الحاج والزائر ، وفيه مقاه تقوم بما تقوم الفنادق عادة على طريقة المقاهي الخاصة ، وبها مطاعم ..."[٢]

ويتناول الشيخ عاتق بن غيث البلادي الجانب الحضاري ومرافقه في ذي الحليفة قائلاً: " ذو الحليفة: ويسمى اليوم أبيار علي ، نسبة إلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، بلدة عامرة على تسعة أكيال من المدينة ، يفترق فيها الطريق من المدينة إلى مكة المكرمة ، يأخذ إلى البيداء ، ثم ذات الجيش ، فتربان ، فيستمر وطريق الفرع .

تمتد على ضفتي عقيق المدينة ، فيهما مدرستان : ابتدائية ، ومتوسطة ، ومعهد معلمين ، ومسجد كبير يحرم منه الناس ، يتوارث الناس هنا أنه مسجد الشجرة الذي كان يهل منه صلى الله عليه وسلم ، وفيها محطة كهرباء المدينة ، وبطرفها الجنوبي حدود حرم المدينة ، يشرف عليها من الشمال جبل (الغرابة) والجماوات ، ويتصل بها من الجنوب الغربي فضاء جلد كان يسمى البيداء ، يسير فيها الطريق إلى مكة ، وبها مقاه ومحطات لبيع المحروقات ، ومن عادة المسافرين أن يتزودوا من النعناع الحساوي من هنا ، وقد ارتفعت قيمته في الآونة الأخيرة... "[١] .

أما في الوقت الحاضر عام ١٤٢٣ هـ ومنذ عشر سنين فقد امتدت المخططات والمباني السكنية للمدينة المنورة إلى هذه الضاحية وبخاصة بعد التوسعة الأخيرة الكبيرة للمسجد الشريف ، فأصبحت متصلة بها ، قد شيدت فيها الفلل والشوارع ، والسواق ، وكافة المرافق من مستوصفات وصيدليات ومطاعم ، ومقاه حديثة (كافيتيريا) بما يمثل اكتفاءً ذاتياً يغني الذهاب إلى وسط المدينة المنورة وتوافر فيها المحلات التجارية التي توفر احتياجات الغذاء والدواء والكساء وكافة المرافق .

---

[٢] المدينة بين الماضي والحاضر ، ص ٤٧٠ .

[١] قلب الحجاز ، بحوث جغرافية وأدبية ، الطبعة الأولى ، (مكة المكرمة ، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ، عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ، ص ١٧٢ ــ ١٧٣ .

مسجد ذى الحليفة تاريخياً :

يعد مسجد ذي الحليفة من أقدم الآثار الإسلامية ، والمشاهد التاريخية ذات العلاقة بالشعائر الدينية كالصلاة من حيث أنه مسجد تودى فيه يومياً الصلوات الخمس ، وشعيرة من شعائر النسك للبدء في مناسك الحج والعمرة ، ولا غرو أن تمتد إليه يد الإصلاح من الولاة والحكام ، والميسورين من المسلمين على مدى العصور الإسلامية خصوصاً وأنه قد صلى في موضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، وهو ما أشارت إليه الروايات فهو جدير بعناية المسلمين في كل عصر .

وفي تتبع تاريخي لما مر به المسجد من عمار يذكر العلاّمة المؤرخ نور الدين علي بن أحمد السمهودي (ت ٩١١هـ) الروايات قبله ، وما شاهده في عصره مما يخص هذا المسجد الشريف والبقعة المباركة قائلاً:

" قال المطيري : وهذا المسجد هو المسجد الكبير الذي هناك كان فيه عقود في قبلته ، ومنارة في ركنه الغربي الشمالي فتهدمت على طول الزمان .

قال المجد : ولم يبقى منه إلا بعض الجدران ، وحجارة متراكمة .

قلت : جدد المقر الزيني زين الدين الاستدار بالمملكة المصرية تغمده الله برحمته هذا الجدار الدائر عليه اليوم لما كان بالمدينة معزولاً عام أحد وستين وثمان مائة ، وبناه على أساسه القديم ، وموضع المنارة في الركن الغربي ، والشام ، في كل جهة منها درجة مرتفعة ، حفظاً له عن الدواب ، ولم يوجد لمحرابه الأول أثر لانهدامه ، فجعل المحراب في وسط جدار القبلة ، ولعله كان كذلك ، واتخذ أيضاً الدرج التي للآبار والتي هناك ينزل عليها من أراد الاستقاء .

وطول هذا المسجد من القبلة إلى الشام اثنان وخمسون ذراعاً ، ومن المشرق إلى المغرب مثل ذلك .

قال المطيري : وفي قبلته مسجد آخر أصغر منه ، ولا يبعد أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه أيضاً ، بينهما مقدار رمية سهم او أكثر قليلاً . انتهى .

قلت : ويؤخذ مما سيأتي أنه مسجد المعرس "[1] .

ثم يستطرد بذكر الآثار الموجودة في هذا المكان في الفصل الثالث (فيما ينسب إليه صلى الله عليه وسلم من المساجد بين مكة والمدينة) قائلاً: " ومنها مسجد المعرس . قال أبو عبد الله الأسدي في كتابه وهو من المتقدمين : يؤخذ من كلامه أنه كان في المائة الثالثة بذي الحليفة عدة آبار ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالمسجد الكبير الذي يحرم الناس منه ، والآخر مسجد المعرس ، وهو دون مصعد البيداء ناحية عن هذا المسجد ، وفيه عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من مكة .

قلت : ليس هناك غير المسجد المتقدم ذكره في قبلة مسجد ذي الحليفة على نحو رمية سهم سبقي منه ، وهو قديم البناء بالقَصَّة والحجارة المطابقة، فهو المراد[2] " .

أما حاله في القرن الرابع عشر قبل عمارته الحالية فقد وصفها وصفاً دقيقاً المؤرخ الشيخ إبراهيم بن علي العياشي قائلاً :

" أقول قد وصلت إلى هذا المسجد (مسجد المحرم بذي الحليفة) أول ما وصلت في عام ألف وثلاثمائة وخمسين ، وكان بناؤه من اللبن والطين ، مسقوفاً بخشب النخل والجريد مفروشاً بالخسف المقطع ، وقد أسال المطر سقفه على الفراش فاختلط به الطين ، وهو مستطيل الشكل ، قليل نوافذ الضوء ، أما وقد وصلته عناية المسؤولين ، وبني ووسع ، وجاءت بنايته روعة ، وأدخل إليه الضوء الكهربائي مما جعل أنظار الحجاج ترنو إليه بعد جهله المطبق عندهم وحتى عند السكان في المدينة المنورة ، وكلا المسجدين المعرس والمحرم أسفل من مصعد البيداء من الشرق ، وهما على حدود حرم الشجر بالمدينة مما يلي البيداء وينتهي الكيلو التاسع عن طرف مسيل الوادي عند نهاية المسجد من المغرب "[2] .

---

[1] و (٢) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، الطبعة الأولى ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، (المدينة المنورة : الشيخ محمد النمنكاني المدني ، عام ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥م) ، ج ٣ ، ص ١٠٠٤ – ١٠٠٥ .

[2] المدينة بين الماضي والحاضر ، ص ٤٧٠ .

مسجد ميقات ذي الحليفة الحديث:

عمر هذا المسجد وأشرف على بنءه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله حيث تبدو طلائع مسجد ميقات ذي الحليفة الجديد جلية يبصرها المتوجه إلى المدينة المنورة عن بعد وهو يسلك الخط السريع : مكة المكرمة ــ المدينة المنورة ، لافتاً الأنظار بشكله المعماري البديع ، وهندسته الإسلامية المتميزة ، ومساحته الواسعة تحف به الأشجار الكبيرة ، كأنما ارتدى ثياباً بيضاء ناصعة زركشت بخطوط كثيفة خضراء تشير إليه في تميز ووضوح قبابه ، ومنارته في الركن الجنوبي الشرقي تمتد مربعة في الهواء إلى أن تأخذ شكلاً دائراً في تدرج .

يحيط بالمسجد مساحات واسعة ذات أرصفة ، ومواقف للحافلات الكبيرة في تنسيق حديث .

يأخذ المسجد شكلاً مربعاً في اتجاه القبلة داخل مساحة مربعة هي ساحاته الخارجية التي به من جوانبه الأربعة مربعان غير متطابقان بل يتخالف تربيعهما ليشكل مثلثاً في القسم الجنوبي الشرقي ، وآخر في الجهة الشمالية الشرقية .

أقيمت عقود البناء على امتداد الجهة الشرقية التي تطل على وادي العقيق والخط السريع وكأنها أروقة ، فأضفت على بناء المسجد شيئاً من الطابع المعماري القديم .

خصصت أبواب لدخول الرجال إلى المسجد من الجهة الشرقية . وأبواب خاصة بدخول النساء في الجهة الشمالية .

يضم المسجد خمسة أروقة ممتدة من الشرق إلى الغرب في اتجاه القبلة في خط طولي مستقيم يأتي في العرض ثلاثة أروقة من الجنوب إلى الشمال يقع بينهما ساحة مكشوفة ، يلي ذلك رواقان في الجهة الشمالية للنساء في خط طولي مستقيم من الشرق إلى الغرب مفصول بحاجز خشبي مزخرف على طول امتداد طول الرواق لعزل النساء عن الرجال .

يتوسط ساحة المسجد ساحة مفروشة بالرخام مربعة الشكل في مساحة تقدر بـ ٤٠ × ٤٠م يتوسطها حديقة صغيرة ذات أشجار متنوعة ، في وسطها مناهل

(صنابير) لمياه الشرب بنيت بشكل هندسي مثمن الأضلاع تحت بناء مرتفع تعلوه قبة تقوم على أربعة عقود من البناء على قاعدة علوية ذات ثمانية أضلاع .

الأروقة المطلة على ساحة المسجد الداخلية زيد أعلاها بزخارف خشبية ، وفي الأعلى منها وضع بروز خشبي مثل الغطاء يكسو الجدار الأعلى المطل على الساحة الداخلية لجميع الجهات حماية للزخرفة الخشبية الداخلية من الشمس والأمطار . يعتمد سقف المسجد وأروقته على أعمدة مستطيلة يبلغ سمك الواحد منها متراً واحداً في مترين ونصف ، وفي عمق هذه الأعمدة التي توحي بالطراز المعماري العثماني القديم ، بني وسط كل واحد من هذه الأعمدة السميكة المستطيلة مشكاة من الجهتين في ارتفاع ١,٢٠سم ، وعرض ٤٠ سم على شكل قوس في الأعلى لحفظ المصاحف ، كما توجد ثماني وحدات تحتوي كل واحدة منها على ثماني مشاكي في الجهة القبلة لحفظ المصاحف .

يقع المحراب تحت قبة تظهر من الجهة الأمامية وبجانبه المنبر يمثلان وحدة واحدة وكأنه جزء منه . يرتفع مستوى المنبر عن مستوى المسجد خمسين سنتيمتراً كُسي جداره بزخرفة جبسية بيضاء ، كتب على واجهته من الجانبين لفظ الجلالة في الأعلى من الجهة اليمنى ، ثم كتب تحتها (لا إله إلا الله الملك الحق المبين) ، وفي الجهة اليسرى (محمد رسول الله) وكتب تحتها (محمد رسول الله صادق الوعد الأمين) ، وقد زودا بآلات تكبير الصوت وأجهزته .

سقُف الرواق مستطيلة وهو يأخذ شكل نصف الدائرة في الأعلى وفي نهايته كوة سداسية الشكل مغطاة بزجاج لتمد داخل المسجد بالضوء ، وتحميه من تسرب المطار ، بنيت بالطوب المصنع مصفوفاً بعضه لإضفاء الطابع التقليدي القديم شكلاً وبناء .

مدخل منارة المسجد في الركن الجنوبي الشرقي ، في داخله طلي جدار المسجد باللون البيج ، وفي أسفلها حزام من الحجر الجرانيت ، أما الأعمدة فقد طلي أعلاها باللون البني ، وأسفلها باللون البيجي .

يضاء المسجد بالكهرباء وقد وضعت مصابيح الإضاءة والمراوح الكهربائية على جسور حديدية تصل بين الأعمدة في شكل يرسخ الصور التقليدية السابقة في الحرمين الشريفين .

المسجد مكيف تكييفاً مركزياً لتخفيف وطأة حر الصيف على الحجاج والمعتمرين .

مرافق الوضوء والاستحمام :

تقع مرافق الوضوء والاستحمام لرجال والنساء في الجهة الشمالية الشرقية ، نسقت تنسيقاً حديثاً وبصورة مريحة جداً ، وأعداد كبيرة تتناسب وكثافة القادمين إليه .

ثانياً: ميقات الجحفة جغرافياً:

يقع مسجد ميقات الجحفة إلى الشمال الغربي من مكة المكرمة ، وإلى الجنوب الشرقي من مدينة رابغ ، يبعد مسجد ميقات الجحفة عن المسجد الحرام ــ ١٨٧ كيلاً وعن مدينة رابغ ١٧ كيلاً وعن البحر الحمر ١٥ كيلاً شرقاً .

أما موقع مسجد ميقات الجحفة فلكياً فهو يقع عند تقاطع دائرة عرض ٢٢،٤٢،١٥ شمالاً . وخط طول ٣٩،٠٨،٥٠ شرقاً[١] . وعلى ارتفاع ٣٠ متراً فوق مستوى سطح البحر .

يقع مسجد ميقات الجحفة على الضفة الشمالية الغربية لوادي الجحفة ، وكان الوادي يعرف باسم مَرّ عنيب أو الخرار ، أما اليوم فأعلاه يسمى الخافق حتى إذا وصل إلى غدير خم سمي الحلق ، فإذا وصل الجحفة سمي وادي الجحفة . والأغلب يعرف بوادي الغايضة . وفي فترة مطيرة سابقة غير وادي مَرَّ عُنيب مجراه وتحول إلى وادي رابغ[٢] . وبالتالي أصبحت روافد الوادي الحالية محدودة جداً وارتفاع أعلى قمة في المنطقة التي يأخذ الوادي الحالي مياهه منها لا يتجاوز ارتفاعها ٤٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر لذلك فهو الآن مجدب وقاحل . تحيط

---

(١) تم تحديد الموقع باستخدام جهاز تحديد المواقع العالمي Magellan 5000D (GPS) وكذلك خريطة المدينة المنورة (جنوب) مقياس رسم ١: ٥٠٠,٠٠٠ د .

(٢) أنظر إمارة رابغ (دراسة جغرافية ميدانية) إعداد قسم الجغرافيا جامعة الملك عبد العزيز جدة ، ١٤٠٤هـ ، ص ٢٨ ــ ٢٩ .

بموقع الميقات الحرار من ثلاث جهات فمن الشمال حرة رمحة ومن الشرق حرة الوبرية وفي أقصى الجنوب لسان من حرة الوبرية يعرف بجبل دفين ، أما من الغرب فتوجد سبخة الترنيب حيث يصب وادى الجحفة فيها ، الا أنها كانت في السابق (أيَ السبخة) على شكل شرم في البحر يستقبل مياه وادي مَرّ عُنيب من منطقة الأكحل على مسافة ٢٠٠ كيل شرقاً .

الدرب الحالي للقادم من ميقات الجحفة إلى مكة المكرمة:

يمر القادم من ميقات الجحفة إلى مكة المكرمة عبر الجادة المسلوكة في الوقت الحاضر بالأماكن التالية: صعبر ــ كلية ــ مفرق طريق جدة ــ المدينة المنورة السريع ــ و مكة ــ المدينة المنورة السريع (حيث يستمر الطريق السريع إلى مكة المكرمة بثلاث مسارات في كل أتجاه) ــ خليص ــ عسفان ــ غران ــ الجموم ــ النوارية ــ التنعيم ــ حي الزاهر ــ حي جرول ــ شارع جبل الكعبة ــ المسجد الحرام (باب الملك فهد) .

ميقات الجحفة تاريخياً:

حظي ميقات الجحفة باهتمام الفقهاء والمؤرخين والجغرافيين ، إذ إنها محطة إسلامية أثرية تكثر بها الآثار المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام فكتبوا عنه تفصيلاً على مدى القرون الإسلامية ، فأصبح من السهل تتبع عمارته وخرابه تاريخياً ، ولو قدر أن نقتبس الكتابات عنه في تتبع لظهر في مجلد ، ولكن يجري الاختيار لبعض النصوص في الفترة التي يظن فيها عمارة ابتداءً وانتهاءً ، ثم في فترة وسيطة ، ثم في فترة متأخرة ، ثم في العصر الحديث ، والذي يمكن فهمه واستنباطه من تاريخها أنها تعرضت للخراب مرات عديدة بحسب موقعها من الوادي وتعرضها للسيول الكبيرة عبر تاريخها ، وانتهى الأمر إلى هجر أهلها لها والنزوح عنها .

والمؤرخون الذين كتبوا عنها وصفوها حسبما كانت عليه في زمانهم ، يـذكر الإمام أبو أسحق إبراهيم بن أسحق الحربي من علماء القرن الثالث الهجري[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها (مهيعة) حسب الحديث الذي رواه بسند عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**اللهم حبب** إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة ، أو أشد ، وانقل وباءها إلـى مهيعـة) . وهـي الجحفة كما زعموا .

" وزعم أبو زيد بن شبه ، عن محمد بن يحي ، عن عامر بن صالح قـال : قال كثير عزة : إنما سميت جحفة لأن السيول قد جحفتها . ومن الجحفة إلى قديد أربعة وعشرون ميلاً . وبها بركة إلى جانبها حوض وآبار كثيرة ، وعين في بطن الوادي عليها حصن وبابان ، والمنازل في السوق داخل الحصن .

وفي أولها مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم ويقال له عزور . وفي آخرها عند العلمين مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد الأئمة .

أخبرني ابن جميح عن نادر قال : ومسجد النبي صلى الله عليه وسـلم مـن الجحفة على ميل ، وبين الجحفة والبحر نحو من ستة أميال ، وعلى ميل منها عين لعبد الله بن العباس ، ويقربها حوض ، وعلى ثلاثة أميال مـن الجحفـة يسـرة الطريق (حذاء العين) مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم .

وبين المسجد والعين الغيضة ، وهي غدير خم ، هو غدير ماء حوله شجر كثير ملتف ، والطريق وسط الشجر ، وهناك نخل المعلي وغيره أربعة أميال "[1]

لم تزل الجحفة عامرة حتى القرن الرابـع الهجـري إذ يصـفها العلامـة الجغرافي إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري (ت ٣٤٦هـ) في كتابه مسالك الممالك بقوله : " وأما الجحفة فإنها منزل عامر ، وبينها وبين البحر نحو ميلين ، وهي في الكبر ودوام العمار نحو من فيد "[2] .

---

[1] حقق الشيخ حمد الجاسر ولادته سنة ١٩٨هـ ، أ/أ وفاته فقد تتبع المؤلفات التي ترجمت فلم يجد من أرخ لها ، ولكنه حقق من خل مشايخه الذين تتلمذ لهم أنه من علماء القرن الثالث الهجري دون تحديد لسنة معينة .

[1] كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، الطبعة الثانية ، تحقيق حمد الجاسر ، (المملكة العربية السعودية: وزارة الحج والأوقاف ، عام ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م) ، ص ٤٥٧ .

[2] تعليقات أحمد علي ، كتاب جغرافية شبه جزيرة العرب ، (مكة المكرمة : مكتبة النهضة الحديثة ، عام ١٣٦٤هـ) ، ص ١٨٧ .

والذي يبدو أن هذا الميقات كان محل اهتمام الخلفاء العباسيين وكافة المواقيت وطرق الحج عندما كانت في أوج قوتها وعزها ، ولهذا شاهدت هذه الأماكن نمواً وازدهاراً . وأماناً ، وعندما ضعفت وطمع فيها الطامعون اختل الأمن في البلاد وأول ما أصابه الخلل طرق الحج ومنازله حيث كانت هي الطرق الرئيسة التي تربط بلاد الخلافة الإسلامية وقد أصابها الخراب في القرن السادس والسابع الهجري حيث وصفها الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ) قائلاً: " الجحفة . بالضم ، ثم السكون ، والفاء: كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل ، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة ، فإن مروا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة .

وكان اسمها مهيعة ، وإنما سميت الجحفة لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام ، وهي الآن خراب... "(٣) .

الجحفة في العصر الحديث (القرن الخامس عشر الهجري):

تعرض لها بعض العلماء في العصر الحديث . تحدث عنها الشيخ حمد الجاسر في تحقيقه وتعليقه على كتاب (المناسك وأماكن طرق الحج) للإمام أبي إسحاق الحربي قائلاً : " قد درست الجحفة ، ولم يبق سوى أطلالها ، ومسجد حديث بني فيها ، وتقع بقرب بلدة رابغ ، شرقها بميل نحو الجنوب بما يقارب الـ ١٥ كيلو " (٢). كما وصفها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام في بحثه بعنوان (تحقيقات جغرافية عن بعض الأماكن الدينية) قائلاً : " الجحفة...قرية بينها وبين البحر الحمر عشرة أكيال ، وهي الآن خراب ، ويحرم الناس من رابغ "(٣) .

كما تعرض للكتابة عنها تفصيلاً الرحالة المؤرخ الشيخ عاتق بن غيث البلادي في عدد من مؤلفاته(٤) نقل فيها كتابات السابقين وأضاف إليهم مشاهدتهم لها ورحلته إليها ووصف آثارها ووديانها ومن يسكنها من القبائل وصفاً دقيقاً ،

---

(٣) معجم البلدان ، (لبنان : دار صادر) ، ج٢ ، ص ١١١ .

(٢) ص ٤١٥ .

(٢) الرياض : مجلة العرب ، مجلد ٢١ ــ ٢٢ ، عام ١٤٠٧ هــ ، ص ٧٣٢ .

(٤) أنظر : قلب الحجاز (بحوث جغرافية وتاريخية وأدبية) ، الطبعة الأولى ، (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ، عام ١٤٠٤هــ /١٩٨٤م) ، ص ٩١ ــ ٩٣ . معجم معالم الحجاز ، الطبعة الأولى ، (مكة المكرمة : دار مكة للنشر والتوزيع ، عام ١٣٩٩هــ / ١٩٧٩م) ، ج٢ ص ١٢٢ ــ ١٢٦ ، على طريق الهجرة رحلات في قلب الحجاز ، الطبعة الأولى ، (مكة المكرمة : دار مكة للنشر والتوزيع) ، ص ٥٨ ــ ٦٣ .

ساعده على هذا أنه أحد أبناء القبائل من سكان تلك المنطقة فصحح بعض المعلومات الجغرافية عنها وعن المراحل بينها وبين المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة .

توصل من دراسته وتجواله في المنطقة إلى الآتي : " إن الجحفة القديمة هي موضوع هذا القصر (حصن عليا) ، وإن السيل الذي يلج فيه (يصب فيه) الآن قد اجتحف البلد ، وإن الجحفة المعروفة اليوم قامت عند مسجده صلى الله عليه وسلم .

معظم المؤلفين في المناسك في العصر الحديث لا يتجاوزون في تعريفهم الجحفة (الميقات) ما ذكره المتقدمون من خرابها وإحرام الحجاج من رابغ بديلاً عن الميقات الأصلي ، برغم أن الطرق الحديثة والخطوط السريعة قد غيرت الكثير من المسالك واتجاهات السير منذ عشر سنوات أو يزيد ، ومن جملة ما شمله التغيير الخط السريع الذي يصل بين مكة المكرمة والمدينة المنورة فقد انحرف اتجاهه عن مدينة رابغ ، فلم يصبح محطة للحجاج القادمين من الشام ومن في ناحيتهم بل أصبح مرور هؤلاء على ميقات الجحفة أيسر وأقرب لمن يسلكون الطريق الساحلي ، وهو المكان الذي يحرمون منه في الوقت الحاضر ، يزدحم بالقادمين حجاجاً ومعتمرين يصلون إليه في حافلات كبيرة ، وسيارات خصوصية صغيرة .

مسجد ميقات الجحفة الحديث:

يقع مسجد ميقات الجحفة على مسافة ثمانية أكيال إلى اليمين من الطريق العام الذى يربط رابغ بجدة وتوجد هناك لوحات إرشادية مكتوب عليها ميقات الجحفة باللغة العربية والفارسية .

وينتهى الطريق إلى بوابة حديدية تنزلق على مجرى حديدي للدخول إلى فناء المسجد حيث أقيم على يمين الداخل غرفة صغيرة للحارس ، وقد شوهد المسجد ومرافقه محاطة بأرصفة منظمة تأتي بعدها مواقف واسعة ، روعي في مساحتها

الحافلات الكبيرة المخصصة لنقل الحجاج والمعتمرين ، يأتي من ورائها خط سيل إسفلتي دائري بعض ٨م ، يقود إلى بوابة الخروج .

يبرز المسجد ظاهراً متميزاً بمساحته الكبيرة ، ومعالمه الواضحة: المنارة والمحراب بين مرافقه في تلك الساحة الواسعة داخل السور .

بناء المسجد من الأسمنت المسلح المسبق الصنع ، مطلي بالدهان الأبيض ، جدار له الخارجي ذو بروز هندسي مستطيل ينتهي بشكل مثلث في الطرف الأعلى ذو نوافذ زجاجية مغلقة بطول مترين وعرض ثلاثين سم على الجهتين الشرقية والغربية ، للمسجد بابان خشبيان خاصان بمدخل الرجال ، وضع على الجانبين لكل منهما خزانة خشبية لوضع الأحذية يتوسط المسجد ستة عشر عاموداً تمثل مربعات أشبه ما تكون بالأروقة ، تفصل بين الصفوف ، يعتمد عليها سقف المسجد ، سقف المقدمة والمؤخرة مسطح تتخلله الجسور العرضية في حين أن السقف الباقي من المسجد يأخذ رواحه شكلاً هرمياً مقطوع الرأس يأتي في أعلاه أربع فتحات جانبية مغلقة بسقف مسلح في أعلاها . محراب المسجد يمتد عمقاً بنحو خمسين سم ، وارتفاع مترين ونصف المتر له منبر خشبي يقع على الجانب الأيمن من المحراب له أربع درجات يرقاها الخطيب إلى كرسي الجلوس . يقع مصلى النساء في مؤخر المسجد مفصولاً عن الرجال بحائط إسمنتي يبلغ ارتفاعه مترين اثنين .

مساحة المسجد الكلية ٣٠ × ٣٠م ، خصص منها للرجال ثلاثون متراً عرضاً في الجهة القبلية عرض أربعة وعشرون متراً وخصص للنساء ثلاثون متراً عرضاً وستة أمتار طولاً . فرش المسجد ببساط ذي لون رمادي غطى مساحة المسجد كلها ، أضيف إلى هذا بالنسبة للصفوف الثلاثة الأولى سجاد تابع لوزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد أزرق اللون ظهر عليه رسم القبلة .

داخل المسجد مطلي أيضاً باللون الأبيض ، وجداره خال من الزخارف ، زود المسجد في المحراب والمنبر بآلات تكبير الصوت ، ووزعت مكبرات الصوت الستة على أعمدة المسجد . وضعت أربع خزانات للمصاحف في الجهة القبلية ، وزود المسجد بمطفأتين للحريق في قسم الرجال في الركنين الخلفيين .

إضاءة المسجد من الداخل بالثريات الكهربائية (الفورسنت) المستطيلة ذات الأقلام المزدوجة ، ومراوح كهربائية في سقف المربعات (الأروقـــة) كمـــا زود بعشـــر وحدات تكييف في قسم الرجال ، لدى مدخل المسجد وضعت ثـــلاث عشـــرة رادة للسقيا .

مرافق مسجد ميقات الجحفة:

زود هذا المسجد ببعض المرافق الإدارية والسكنية التي تسهل الإقامة على القائمين بشؤونه في هذا المكان المنعزل الذي لا أثر فيه لساكن فيما عـــدا بعـــض المساكن القروية على يمين الداخل إلى طريق مسجد الميقات في الجهة اليمنى ، لا يتجاوز عددها عشرة منازل .

أقيم في الجهة الشمالية ، والشمالية الشرقية غـــرف اســـتراحة عمـــال الصـــيانة ومساكنهم ، وكذلك سكن للمشرفين الرسميين على المسجد ، كما أقيم مبنى مستقل من طابقين خصص الطابق الأرضي لإدارة المسجد ومكاتبها ، والطابق العلـــوي سكن الإمام يقيم فيه أيام الحج حيث يزدحم المسجد بالحجاج القادمين للإحرام وما عدا أيام الحج فإن الإمام يؤثر أن يقيم في ملكه الخاص .

يقوم بصيانة المباني وتنظيف المسجد شركة متخصصة ، تجلب الميـــاه إلـــى المسجد عن طريق السيارات الكبيرة المختصة بنقل مياه الشرب .

من الملاحظ أن عدد مرافق الوضوء والاستحمام يتناسب وكثافة عدد الواردين إليه ، بتقدم هذه المرافق عند الدخول إلى المسجد في الجهة الشـــرقية منـــه وحـــدتان كبيرتان متخصصتان لحمامات الرجال ، مكسوة الجدار بالرخام الأبيض ، إحداهما تحتوي على اثنين وعشرين مرحاضاً وكلها مجهزة بما يمكّن من الاستحمام فيها . وثانيتهما أماكن الاستحمام تبلغ ستاً وعشرين وحدة كما خصصت ثمان وأربعـــون غرفة لخلع الملابس وارتداء ملابس الإحرام ، في الطرف الشمالي الغربـــي مـــن المسجد قريباً من باب المسجد المؤدي إلى قسم النساء توجـــد المرافـــق الخاصـــة بالنساء مزودة بكافة الخدمات والمرافق الموجدة لدى الرجال ، معزولة عن مناطق الرجال ، بها ست وعشرون مرحاضاً واثنان وعشرون حمّاماً .

جميع هذه الوحدات مزودة بمئات الصنابير للوضــوء . وفــي الجهــة الشــرقية والجنوبية خارج سور المسجد بنيت أرصفة ، ومواقف واسعة إضافية للســيارات مضاءة بالكهرباء .

أقيم في الجهة الشرقية قبل بوابة الدخول محل لبيع مستلزمات الإحرام وما قد يحتاجه القادم إلى المسجد من حاجيات ومعلبات ومرطبات .

ثالثاً: ميقات قرن المنازل جغرافيا:

يقع مسجد ميقات قرن المنازل أو ما يعرف اليوم بـــ (السيل الكبير) إلى شرق الشمال الشرقي من مكة المكرمة وشمال مدينة الطائف تماماً ــ يبعد عن المسجد الحرام ٨٠ كيلاً وعن مدينة الطائف ٤٠ كيلاً أما موقع مسجد ميقات قرن المنازل (السيل الكبير) فلكياً فهو يقع عند تقاطع دائرة عرض ٢١،٣٧،٥١ شمالاً . وخط طول ٤٠،٢٥،٢٥ شرقاً[١] . على ارتفاع ١٢٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر .

يقع مسجد الميقات على الضفة الشرقية لوادي قرن شمال بلدة السيل الكبير مباشرة . وتبدأ الروافد العليا لوادي قرن من جنوب منطقة الهدا حيث يتقاسم الماء مع وادي نعمان ووادي وج وذلك إلى الشمال من منطقة الشفا (شفا بني سفيان) على ارتفاع ٢٤٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر .

ويمتد وادي قرن مسافة ٤٥ كيلاً من أعاليه في الجنوب الغربي إلى بلــدة الســيل الكبير في الشمال الشرقي ، فهو بذلك يأخذ شكلاً طولياً يتتبع خطاً إنكسارياً علــى امتداد انكسار أو صدع إدام الذي يبدأ من قاع البحر الأحمر ماراً بوادي إدام فــي تهامة شمال الليث ومن ثم يمر بوادي قرن إلى أن ينتهي تحت حرة كشب شــمال الطائف بحوالي ٢٠٠ كيل . وينحدر وادي قرن من القمم العاليــة فــي المنطقــة الواقعة بين الهدا والشفا في مجرى ضيق شديد لانحدار حتى يصل إلى بلدة السيل الكبير حيث يتسع نسبياً ويظهر النشاط الزراعي بصورة واضحة علــى جنبــات الوادي ، وفي مواسم الأمطار الغزيرة تكون سيول هذا الوادي قوية جارفة حيــث

---

[١] تم تحديد الموقع باستخدام جهاز تحديد المواقع العالمي Magellan 5000D (GPS) وكذلك خريطة مكة المكرمة (جنوب) مقياس رسم ١: ٥٠,٠٠٠ .

تصل إلى وادي فاطمة بعدما ينضم إليه وادي السيل الصغير على مسافة ٨ أكيال إلى الشمال من السيل الكبير ، ثم ينعطف باتجاه الغرب والجنوب الغربي ويسمى بعد ذلك وادي الشامية أحد روافد وادي فاطمة الكبير حيث ينتهي الأخير في البحر الأحمر جنوب مدينة جدة . وعند السيل الكبير تكون النهايات الشمالية لجراف جبال الحجاز أو السراة حيث إنها تستمر وبدون انقطاع إلى اليمن جنوباً . ومن السيل الكبير باتجاه الشمال تكاد لا تظهر معالم واضحة للجرف حيث إن الانكسارات والصدوع الكبيرة مثل صدع وادي اليمانية وصدع وادي فاطمة ساعدت على اختفاء الجرف جنباً إلى جنب مع عوامل التعرية ، وبالتالي فإن الأرض والأودية يظهر فيها التدرج والانحدار البسيط من السيل الكبير إلى مكة المكرمة عبر وادي اليمانية غرباً إلى مكة المكرمة من سراة الحجاز واليمن جنوباً وكذلك نجد وما جاورها شرقا وعلى امتداد وادي قرن نحو الجنوب من السيل الكبير يوجد مسجد آخر يعرف بميقات قرن المنازل (وادي محرم) يقع إلى شرق الجنوب الشرقي من مكة المكرمة والى الشمال الغربي من مدينة الطائف حيث يبعد عن المسجد الحرام عبر الطريق الجبلي (جبل كرا) الذي يمر بالهدا والكر مسافة ٧٦ كيلاً ويبعد عن الطائف مسافة تقدر بنحو ١٠أكيال . وأما موقع مسجد ميقات قرن المنازل (وادي محرم) فلكياً فهو يقع عند تقاطع دائرة عرض ٤٣،٢٠،َ٢١ْ شمالاً . وخط طول ٣٩،١٩،َ٤٠ْ شرقاً[1] وعلى ارتفاع ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر .

يقع هذا المسجد على الضفة الشرقية لوادي قرن على ربوة مرتفعة تشرف على الوادي على يمين الذاهب إلى مكة المكرمة . ويبعد مسجد (وادي محرم) عن المسجد الآخر (السيل الكبير) حوالي ٣٣ كيلاً .

---

[1] تم تحديد الموقع باستخدام جهاز تحديد المواقع العالمي Magellan 5000D (GPS) وكذلك خريطة المدينة المنورة (جنوب) مقياس رسم ١: ٥٠,٠٠٠

الدرب الحالي للقادم من ميقات قرن المنازل (السيل الكبير) إلى مكة المكرمة:

يمر القادم من ميقات قرن المنازل (السيل الكبير) إلى مكة المكرمة عبر الجادة المسلوكة في الوقت الحاضر على شكل طريق سريع حر مكون من ثلاث مسارات في كل أتجاه بالأماكن التالية:

وادي قرن ـ السيل الكبير ـ اليمانية ـ الزيماء ـ الشرائع العليا ـ الشرائع (شرائع المجاهدين) ـ تقاطع طريق المعيصم مع طريق الطائف السيل ـ جبل النور ـ العدل ـ المعابدة ـ شارع المسجد الحرام ـ مكان المولد النبوي (مكتبة مكة المكرمة) ـ المسجد الحرام (باب السلام).

الدرب الحالي للقادم من ميقات قرن المنازل (وادي محرم) إلى مكة المكرمة :

يمر القادم من ميقات قرن المنازل (وادي محرم) إلى مكة المكرمة عبر الجادة المسلوكة في الوقت الحاضر بالأماكن التالية:

وادي قرن (وادي محرم) ـ الهدا ـ الكر ـ تقاطع طريق الطائف ـ عرفات ـ العابدية (جامعة أم القرى) ـ حي العزيزية ـ نفق طريق الملك عبد العزيز الموصل بين العزيزية وأجياد ـ السد ـ نفق أبي قبيس ـ الغزة ـ مكان المولد النبوي الشريف (مكتبة مكة المكرمة) ـ المسجد الحرام ـ (باب الملك فهد).

قرن المنازل تاريخياً:

قرن المنازل كما يصفها المؤرخون والفقهاء " قرية من أعمال الطائف" (١) وهي ما تسمى اليوم (بالسيل الكبير) ، عرفت قديماً بأنها قرية عظيمة بين مكة وصنعاء وذلك حين عدد ابن خرداذبة المنازل بين مكة وصنعاء اليمن: (من مكة إلى بئر المرتفع ، ثم إلى قرن المنازل قرية عظيمة ...)(٢) وكذلك يذكرها الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في صدد الحديث عن طرق الحج ودروبه ، وبخاصة الطريق من مكة إلى الطائف وهو ما اتجه إليه الإمام أبو اسحق الحربي رحمه الله موضحاً أن الطريق من مكة إلى الطائف له مسلكان : طريق كرا ،

---

(١) عابد ، محمد ، هداية الناسك على توضيح المناسك ، ص ٢٧ .

(٢) كحالة ، عمر رضا ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، الطبعة الأولى ، راجعه وعلق عليه أحمد علي . (مكة المكرمة : مكتبة النهضة الحديثة) ، ص ٣٥ .

وطريق الزيمة ، قائلاً " إذا أردت الطائف : تخرج من عرفة على جبل يقال له : كرا يظهر على حرة كثيرة المنابت يقال لها الهدة[٣] ومن الهدة إلى الطائف . وله طريق أخرى على موضع يقال له زيمة ، ينفد من مشاش ، ثم قـــرن المنـــازل ، وهو الموضع إلى وقته رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجـــد حـــين قـــال : **(ويهل أهل نجد من قرن)** ، ثم من قرن المنازل إلى الطائف ، وهذا الطريق ثلاثة أيام ، والطريق الأول يومان "[٤] .

ويذكر الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام لدى تحقيقه جغرافية هذا الميقات قائلاً:

" قرن المنازل : بفتح القاف وسكون الراء ، وقد يقال : قـــرن الثعالـــب ، لوجود أربع رواب صغار تسكنها الثعالب ، وقد أزيلت إحدى تلك الروابي لتوسعة طريق مكة إلى الطائف ، وبقي الآن منها ثلاث ، أما الثعالب فمع توسع العمران هربت عن المنطقة ، والقرن هو الجبل الصغير .

والميقات اسمه الآن (السيل الكبير) ، ومسافته من بطن الوادي إلى مكـــة المكرمة ثمانية وسبعون كيلاً ، ومن المقاهي والأمكنة التي اعتاد الناس أن يحرموا منها خمسة وسبعون كيلاً ، والسيل الكبير الآن قرية كبيرة فيها محكمة ، وإمارة ، وجميع الدوائر ، والمرافق ، والخدمات ، والمدارس المنوعة .

* يحرم من قرن المنازل أهل نجد ، وحجاج الشرق كله من أهل الخليج والعراق ، وإيران وغيرهم .

وادي محرم : هذا هو أعلى قرن المنازل ، وهو قرية عامرة فيها مدرسة ، وكان لا يحرم منها إلا قلة حتى فتحت حكومتنا طريق الطائف إلى مكـــة المـــار بالهدا ، فصار محرماً هاماً مزدحماً... وهو لا يعتبر مستقلاً من حيث الاسم ، لأنه هو قرن المنازل ، فاسم قرن شامل للوادي كله ، سواء من طريق ما يسمى بالسيل الكبير أو من طريق ما يسمى الهدا ، ولذا جاء في كتاب الإقناع وغيره:

(وميقات أهل نجد اليمن ، وأهل نجد الحجاز ، وأهل الطائف قرن)

---

(٣) علق على هذا الشيخ حمد الجاسر بقوله " وتسمى هذه حرة قديماً في قمة جبل كرا ، وأصبحت الآن بلدة ذات قصور كثيرة لسراة الناس بعد تعبيد طريق كرا " . كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ، ص ٦٥٣ .

(٤) كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ، ص ٦٥٣ ـــ ٦٥٤ .

. (فوادي قرن هو الطريق السالك من هذه الجهات الثلاث ، وبهذا يكـون قـرن بمعنى المنصوص عليه)[1] . فإن هذا الجزء من قرن المنازل المسمى بالسـيل الكبير يزداد أهمية واتساعاً . ونمواً في العمران ، والمرافق في الوقت الحاضر إذ لا يزال محطة رئيسة للمسافرين ذهاباً وإياباً . وقد كـان نموهـا فـي الماضـي محصوراً في استراحات المسافرين ، والمقاهي الشعبية التي كانت تتكـاثر علـى مدى الأيام ، نظراً لتكاثر أعداد العابرين منها وازدحامهم فيهـا حتـى تجـاوزت المقاهي حدود الميقات في اتجاه مكة المكرمة دون شعور البعض بهذا التجاوز عند بدء الإحرام .

وقد انتهت هذه المشكلة في الوقت الحاضر ببناء الميقات الذي أصبح معلماً بارزاً من معالم السيل ، تشير إليه اللوحات الإرشادية حال الواصل إلـى حـدود السيل الكبير .

لم يفقد السيل الكبير أهميته مع وجود خط الهدا ــ مكة ، لأنه ملتقى طرق وبلاد وقرى كثيرة ، والعمران من الطائف يمتد نحوه شمالاً يمـر بـه الطريـق السريع الذي يسمح للشاحنات الكبيرة السير فيه ، في حين أنه محظور عليها سلوك طريق جبل كرا في ذلك الاتجاه .

وفي هذا العهد الزاهر شملت التنمية في هـذه القريـة الكبيـرة النـواحي العمرانية والتجارية ، والتعليمية فأصبحت فيها العمارات الكبيرة والجور الحديثة ، والمحال التجارية العديدة ، وخدمات السيارات وتعدد فيها المدارس للبنين والبنات على كافة المستويات ، إضافة إلى المرافق الحكومية . ونشأ من أهلهـا الفقهـاء والقراء والمتخصصون في مجالات العلم المختلفة .

أما وادي محرم فهو قرية كبيرة يمر من خلاله طريق الطائف ــ مكـة ، عبر الهدا وقد انتشر على جانبه الأيمن للمتجه إلى مكة المكرمة المنتزهات العديدة المنظمة ، والمظلات والاستراحات على ضفاف الوادي وروابيه ، واتسـع فـي الناحية العمرانية على جانبي الخط بعض المباني الحديثة ، ومع امتداد العمـران بالطائف في الجهة الغربية منه وتعدد محطات الوقود علـى الخـط ، المـزودة

---

[1] تحقيقات جغرافية عن بعض الأماكن الدينية ، ص ٧٣٣ .

بالاستراحات والبقالات وكافة احتياجات المسافرين والعابرين ، لم يصبح وادي محرم محطة ينزل عندها المسافرون سوى من أراد الإحرام فإنه يقصد مسجد الميقات ، فنظراً لقربها من مدينة الطائف فإن أغلب نشاط الأهالي يكون بالطائف ، كما أن شهرة الهدا بجوه الجميل ، وفواكهه اللذيذة أوجد بها سوقاً للفاكهة يقصده النازلون إلى مكة ، جميع هذه الأسباب حَدَّت من نمو قرية وادي محرم وتوسعها .

مسجدا ميقات قرن المنازل الحديثان :

لميقات قرن المنازل مسجدان هما : مسجد السيل الكبير ، ومسجد وادي محرم يقع كل واحد منهما على جادة سالكة ، وخط إسفلتي رئيس هما : طريق السيل الكبير ــ مكة المكرمة ، وطريق جبل كرا ــ مكة المكرمة .

يقع المسجدان في شرق وادي قرن المنازل الممتد من جنوب منطقة الهدا ، واتجاهه طولياً من أعاليه في الجنوب الغربي إلى بلدة السيل في الشمال الشرقي بطول ٤٥ كم .

مسجد ميقات السيل الكبير الحديث :

تم بناؤه عام ١٤٠٢هـ ، في الجهة اليمنى من خط السيل السريع إلى مكة المكرمة ، زرعت اللوحات الإرشادية مشيرة إلى مسجد الميقات ، وبعد مسافة تقدر بكيل واحد تظهر الدكاكين والمحال الصغيرة الكثيرة مصطفة قبل الدخول إلى باب المسجد على اليمين ، كما اصطفت أعداد أخرى مماثلة لها على الجهة الأخرى ، قد امتلأت بملابس الإحرام والأحذية ، والمرطبات والمواد الغذائية ، وكافة ما يحتاجه الحاج والمعتمر.

يؤدي إلى المسجد طريق إسفلتي عريض لقادم إليه ، وأخر للمغادر منه يتوسطها حديقة دائرية بها بعض الأشجار .

أحيط المسجد برصيف عريض مرصوف بحجر الرياض تأتي بعده حدائق مزروعة بأشجار النيم والأثل الكبيرة من كافة جهاته عدا القبلية حيث يطل محراب المسجد وجداره القبلي على وادي قرن مباشرة .

يحتل المسجد رقعة واسعة من الأرض الفضاء الخالية من المنشآت محاطة بأسلاك نحاسية حمى وحرماً له .

يتقدم باب المسجد الجديد للميقات رصيف عريض نصف دائري بمقدار اثني عشر متراً منها متران ملونان على طول امتداد الرصيف وعشرة أمتار من الأسمنت الأسود .

للدخول إلى ساحة المسجد ثلاثة أبواب في الناحية الشمالية الشرقية ، وضع على الباب الأوسط لوحة إرشادية مكتوب فيها بالخط النسخي العريض (ميقات) باللون الأزرق ، (قرن المنازل) باللون الأحمر ، تحتها سهم ذو اتجاهين .

المسجد محاط برواق كامل في الجهة الشمالية الشرقية بداخله صنابير الوضوء على الجهتين من الجد ارفي شكل دائري مضلع (ثمانية أضلاع) يمثل المسجد الضلع الجنوبي الغربي يظهر في مواجهة الداخل باب كبير للمسجد في اتجاه القبلة مقابل المحراب ، يشكل عقداً طويلاً ، تقع المنارة على يسار في شكل مربع بطابق واحد يفصل بين رواق الوضوء وباب المسجد ساحة مثمنة الأضلاع تتوسطها مظلة كسيت بالرخام وضعت فيها صنابير مياه الشرب .

للمسجد خمسة أبواب خشبية في الجهة الشمالية في ارتفاع أربعة أمتار ، مصاريعها خشبية ، سددت فراغاتها بزجاج حتى السقف ، وفي الجهة الجنوبية أربعة أبواب بنفس المساحة والمواصفات مقابلة للتي في الجهة الشمالية ،. مساحة المسجد طولاً في اتجاه القبلة خمسون متراً وأربعون متراً عرضاً .يتوسط المسجد فناء مسقوف عال يرتفع عن سقف المسجد حوله بمقدار ثلاثة أمتار مربع الشكل خال من الأعمدة ، مفتوح الجوانب كلها ، بمقدار متر واحد ، وكأنها نوافذ ، أحكمت فتحاتها بالزجاج في إطارات خشبية لتضمن الإضاءة الطبيعية ، وتمنع دخول الغبار والأمطار أن تنفذ إلى داخل المسجد . المنظر الداخلي العام للمسجد يوحي بوجود أروقة للمسجد في جهاته الأربع تعتمد على أربعة أعمدة في طرفه من جهة الساحة الداخلية في كل ركن منه ، كل عمود منفصل عن الآخر بمقدار متر ونصف متر .

ارتفاع المحراب خمسة أمتار في شكل نصف دائرة في أعلاه ، محاط بإطار خشبي مزخرف ، والمنبر من جهته اليمنى يرتفع عن مستوى سطح المسجد بخمس درجات تأتي بعدها بسطة مربعة الشكل لكرسي الخطيب ، على الجانب الأيسر من المحراب باب صغير خصص لدخول الإمام وخروجه .

يضاء المسجد بالثريات الكهربائية (النجف) ، يزين وسط سقف الساحة الداخلية بنجفة كبيرة ، وأخريات متوسطة الحجم معلقة في سقف المسجد وعددها ٢٤ وحدة وعدد آخر من الثريات الصغيرة ، كما زود بمكبرات الصوت ومراوح السقف الكهربائية وعددها ١٦ ، كما توجد خزائن خشبية لحفظ المصاحف موزعة على الجهات الثلاث : القبلية الشمالية والجنوبية ، تغطي أرض المسجد كاملة ببساط عادي لونه (بيج) ، وعليه خط أخضر عريض ممتد عرضاً لتسوية صفوف المصلين .

القسم الخاص بالنساء خصصت له شرفة علوية عند باب المسجد على الضلع الشرقي منه في اتجاه المحراب تطل على الساحة الداخلية وضع في واجهتها أخشاب على امتداد كامل الضلع ، استقل بمدخل خاص من خارج بناء المسجد .

مرافق المسجد:

يتوافر لمسجد الميقات مرافق عديدة هي :

١ـ مكاتب لإدارة المسجد.

٢ـ مكتب للأمانة العامة للتوعية الإسلامية للحج ،.

٣ ـ حمامات خاصة بالرجال ذات ست عشرة وحدة تكون كل واحدة منها ثمانية مراحيض مزودة بصنابير الاستحمام . تشير إليها لوحة إرشادية في الجهة اليسرى من ساحة المسجد ، ومثلها بالنسبة للنساء في الجهة اليمنى من الساحة صنابير الماء المخصصة للوضوء تستقل برواق مسقف على الجهة اليسرى على امتداد الجهة الشمالية الشرقية في شكل مضلع ، يقابلها في الجهة الأخرى ما يخص النساء .

٤ ــ سكن للإمام والمؤذن ، والمشرفين والعاملين لصيانة المسجد .

٥ ــ دار لإقامة كبار الضيوف .

٦ ــ مولدات كهربائية احتياطية.

٧ ــ مواقف سيارات متعددة للحافلات الكبيرة مفروشة يالأسفلت ومنظمة بأرصفة إسمنتية مضاءة بالكهرباء والمصابيح ذات الأعمدة العملاقة.

مسجد وادي محرم الحديث:

يقع على ربوة مرتفعة في الجهة اليمنى للقادم إلى الطائف من مكة المكرمة تشير إلى مدخله لوحة إرشادية كبيرة تصعد السيارة إليه في طريق مفروش بالإسفلت صفت جانبه أشجار الاثل .

أول ما يصادف القادم إلى المسجد ساحة واسعة وعلى الجهة الشمالية أقيمت الدكاكين والمحال الصغيرة الكثيرة لبيع ما يحتاجه الحاج ، والمعتمر من ملابس الإحرام ، والمرطبات ، أقيم في بداية هذه الساحة مجسم جمالي بلوحة دائرية بيضاء ، يظهر من خلفها المدخل الرئيس للمسجد ومرافقه يؤدي إليه رصيف إسمنتي بطول ١٠ م ، مكتوب على المدخل (**ميقات وادي محرم**) بلونين مختلفين (ميقات) باللون الأزرق ، وما بعدها باللون الأحمر . وضع على يمين المدخل لوحة إرشادية مشيرة بسهم إلى حمام النساء ، وأخرى علي اليسار لحمامات الرجال .

انتظم على الجانبين لممر المدخل المكاتب الإدارية والخدمات والإشراف على مسجد وادي محرم . ينتهي الممر إلى درج وسلالم وعددها ست وثلاثون درجة تؤدي نزولاً إلى ساحة المسجد الخارجية ، مثمنة الأضلاع ممراتها مرصوفة بالبلاط ، تتوسطها صنابير مياه الشرب خاصة بالرجال . أقيم في أطراف هذه الساحة بعض المرافق والخدمات الخاصة بالوضوء والاستحمام بالإضافة إلى المرافق الأخرى الداخلية ، على شكل دائرتين خارجية كبرى ، وداخلية أضيق ، وأقيمت صنابير مياه الشرب أخرى خاصة بالنساء .

وفي شكل مضلع مسدس يمثل حلقة ثالثة حول المسجد من جميع الجهات عدا الجهة القبلية تكتمل فيها خدمات المسجد من مرافق الوضوء والاستحمام الكثيرة العدد يفصل بينها وبين المسجد ساحة كبيرة مرصوفة بالبلاط الأبيض تطل عليها أبواب الميضآت للخروج منها والتوجه إلى المسجد ، وقد جعل لهذه الساحة رصيف مميز مرتفع على مستوى أرض الساحة بمقدار ١٥ سم ميز هذا الرصيف بخط من الرخام الأبيض على طول امتداد الساحة .

المسجد من الداخل:

للمسجد أربعة أبواب في الجهة الشرقية وأربعة أخرى في الطرف الغربي . مساحته طولاً خمسون متراً ، وعرضاً أربعون متراً ، يبدو للناظر أن للمسجد رواقين أحدهما على الجهة الشرقية ، والآخر في الجهة الغربية دون أن تعلوهما أقواس العقود المألوفة بما مساحته عرض كل واحد منهما خمسة أمتار على امتداد طول المسجد ، وما بين الرواقين صحن واسع للمسجد خال من الأعمدة . يقوم سقف المسجد على الجدار الخارجية المحيطة به ، ومن الداخل على ثمانية عشر عاموداً ، تسعة أعمدة في جهة الشرق وتسعة أخرى تقابلها في جهة الغرب ، يقوم عليها سقف مستقيم مصمت في استقامة واحدة تتدلى منه اثنا عشرة ثريا كهربائية صغيرة الحجم ، وثلاث أخرى أكبر حجماً .

محراب المسجد مرتفع بمقدار أربعة أمتار إذ يمثل تلثي رواح المسجد ، عريض وعميق مزين بالبلاط السيراميك الصغير ، ذي لون أخضر مذهب ، وله منبر خشبي في الجهة اليمنى من المحراب يرقى إليه بخمس درجات في شكل أسطواني ينتهي بالبسطة التي يوضع فيها كرسي الخطيب ، وضع المنبر بشكل عرضي . زود المسجد بمكبرات الصوت ، وخزائن للمصاحف ، من الألمنيوم ، أبواب المسجد من الألمنيوم ذي اللون الخشبي محاطة بفراغات سدت بالزجاج من جوانبها حتى انتهائها إلى السقف .

مصلى النساء يعلوا الأبواب الخلفية في شرفة تطل على صحن المسجد يحجزها عن أنظار الرجال حاجز خشبي مزخرف على امتداد كامل الضلع ، وله مدخل

خاص من خارج المسجد . فرش المسجد ببساط لونه بيج يعترضه خط أخضر مستقيم لتنظيم صفوف المصلين . ليس المسجد بحاجة إلى مراوح كهربائية حيث إنه يقع في منطقة باردة ، توجد مروحة صغيرة خاصة الإمام ، الجدران الداخلية للمسجد والأعمدة مكسوة بالرخام ، أما الجدران الخارجية فهي مكسوة بحجر الرياض .

مواقف السيارات نظمت على شكل نصف دائرة تحيط بالمسجد من الجهتين الشمالية الغربية ، والجنوبية غربية ، وهي في تعدادها وسعتها أقل من مثيلاتها في المواقيت السابقة إذ يتحكم في هذا موقعه الجبلي الضيق المساحة .

يحيط بحرم المسجد وحماه والساحات التابعة له أرصفة مسورة بحواجز إسمنتية بارتفاع متر . المسجد في موقع مرتفع مطل على الوادي وقرية وادي محرم في صورة بديعة ومنظر جميل خلاب ، وفي الجهة الأخرى الموازية على خط السيارات لا يزال المسجد القديم قائماً تقام فيه الصلوات ، يقصده السكان القريبون منه في جهته لداء الصلوات الخمس .

رابعاً: ميقات يلملم جغرافياً:

يقع مسجد ميقات يلملم القديم أو ما يعرف ب (السعدية) جنوب مكة المكرمة على مسافة تقدر بـ ١٠٠ كيل ويبعد عن البحر الأحمر نحو الشرق بحوالي ٤٠ كيلاً . وأما موقع مسجد الميقات القديم فلكياً فهو يقع عند تقاطع دائرة عرض ١٠،٤٢َ،٢٠ْ شمالاً . وخط طول ٤٠،٥٤َ،٣٩ْ شرقاً[1] . وعلى ارتفاع ١٢٥ متراً فوق مستوى سطح البحر . ويقع مسجد ميقات يلملم (السعدية) على الضفة الجنوبية لوادي يلملم بالقرب من بئر السعدية .

يمتد وادي يلملم يطول ١٢٠ كيلاً من مجاريه العليا في السراة جنوب غربي الطائف من عند جبل الأديم ، وهو من جبال منطقة الشفا (شفا بني سفيان) ، على ارتفاع ٢٦٠٠ متراً فوق مستوى سطح البحر حيث يتقاسم الماء مع كل من وادي لية ووادي وج ووادي قرن ووادي نعمان وينتهي مصبه عند مجيرمة في

---

[1] تم تحديد الموقع باستخدام جهاز تحديد المواقع العالمي Magellan 5000D (GPS) وكذلك خريطة الليث مقياس رسم ١: ٥٠,٠٠٠ .

تهامة على البحر الأحمر على شكل مروحة فيضية كبيرة تعرف بخبت الغصن أو سهل مجيرمة .

وبصورة عامة فإن وادي يلملم يعتبر من الأودية الكبيرة التي نشأت مع الصدوع والانكسارات التي تزامنت مع انفتاح البحر الأحمر وارتفاع جبال السراة. ويأخذ الوادي شكلاً طولياً من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ويجري في منطقة جبلية شديدة الوعورة ضيقة المجاري ذات انحدار كبير ، وترفد وادي يلملم مجموعة من الروافد أهمها من جهة الشمال وادي حديثة ووادي إثال ووادي الغضاب ووادي حثن و وادي وديان و وادي نيان . أما من جهة الجنوب فترفده عدة روافد أهمها وادي راك ووادي الحشا ، هذا مما يجعل سيله جارفاً وقوياً في مواسم الأمطار لا يترك مجالاً لأن تقوم زراعة في الوادي عدا النبات الطبيعي الذي ينمو على سفوح الجبال واشجار السلم والسمر والعشر والأراك في جنبات الوادي على المدرجات الفيضية .

وعند بداية ثلثه الأخير وبعد أن يخرج وادي يلملم من مضايق الجبال يبدأ المجرى الأدنى ويتسع الوادي ، وهناك حفرت بئر السعدية بالقرب من مسجد الميقات القديم (المعروف بمسجد معاذ بن جبل رضي الله عنه) وهو ميقات أهل اليمن أو من أتى من تلك الجهة سواء مربها أو حاذاها من البحر . وهذا الموقع شبه مهجور الآن ، وبالرغم من وقوع قرية السعدية حوله التي يوجد بها مدرسة ومسجد ومركز إمارة فرعية تابعة ، وبما أنه كان يقع سابقاً على درب الحج اليماني ، كانت القرية مأهولة وعامرة ، إلا أنه بعد أن مهدت الطريق بين مكة المكرمة وجازان مروراً بالليث ، والقنفذة انحرف هذا الطريق عن الموقع القديم للميقات مما دعا إلى أن يبنى مسجد جديد للميقات على هذا الطريق السالك الآن ، فقد تم إنشاء مسجد جديد للميقات على الضفة الجنوبية لوادي يلملم عند تقاطع الوادي مع الطريق المعبد وذلك عل اعتبار أن الوادي أكمله ميقات من تعداه نحو مكة فقد تعدى الميقات ، وأطلق عليه اسم ميقات يلملم أو ميقات يلملم الساحلي .

يقع هذا المسجد الجديد للميقات جنوب مكة المكرمة والى الجنوب الغربي من المسجد القديم للميقات (السعدية) ويبعد عن المسجد الحرام بحوالي ١٣٠ كيلاً وعن

الموقع القديم (السعدية) ٢١ كيلاً ويبعد عن البحر أو مصب الوادي بحـوالي ١٩ كيلاً شرقاً . أما موقع مسجد ميقات يلملم الساحلي الحالي فلكياً فهو يقع عند تقاطع دائرة عرض ٠١،٣١َ،٢٠ْ شمالاً . وخط طـول ١١،٥٢َ،٣٩ْ شـرقاً[1] . وعلـى ارتفاع ١٢٥ متراً فوق مستوى سطح البجر .

الدرب الحالي للقادم من ميقات يلملم إلى مكة المكرمة:

يمر القادم من ميقات يلملم إلى مكة المكرمة عبر الجادة المسلوكة بطريـق منفرد ضيق نسبياً في الوقت الحاضر بالأماكن التالي :

وادي يلملم ــ بل طفيل ــ وادي إدام ــ وادي الأطواء ــ جبل سطاع ــ مفـرق طريق الشعيبة ــ وادي ملكان ــ تقاطع طريق الليث/ مكة المكرمة مع الطريـق الخاص لغير المسلمين ، خارج حدود الحرم الذي يربط طريـق جـدة وطريـق الطائف ــ قوز المكاسة (النكاسة) ــ حي المسفلة ــ شارع إبـراهيم الخليـل ــ المسجد الحرام (باب الملك فهد) .

ميقات يلملم تاريخياً:

تذكر (يلملم) الوادي كما هو الصحيح ، أو الجبل في معاجم البلدان الإسلامية بحسب أنها من المواقيت المكانية ، مرحلة عن طريق الحج اليمني من جهة تهامة ، ورد ذكره عند العلامة أبي إسحاق الحربي في معرض حديثه عن (طريق اليمن إلى مكة) وأن الوصول إلى مكة يكون عن أحد طريقين: الطريق علـى البحـر ، والطريق على تهامة . كلاهما يبدأ من صنعاء فالرحابة ، ويمر المسافر من طريق تهامة بالليث ، فالمركوب ، ثم يلملم ، ومنها إلى ملكان فمكة المكرمة [1].

وسلك العلامة أحمد ابن أبي يعقوب بن وضاح ، المعروف باليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) مسلكاً آخر حيث بدأ بذكر المراحل من مكة إلى الـيمن عكـس سـلفه

---

(1) تم تحديد الموقع باستخدام جهاز تحديد المواقع العالمي Magellan 5000D (GPS) وكذلك خريطة الليث مقياس رسم ١: ٥٠،٠٠٠ .

(1) أنظر كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، ص ٦٤٦ .

الحربي قائلاً : " ومن مكة إلى صنعاء إحدى وعشرون مرحلة ، فأولها الملكان ، ثم يلملم ، ومنها يحرم حاج اليمن ، ثم الليث ... "[٢] .

كما يضيف العلامة محمد بن عبد المنعم الحميري وصفاً رائعاً قـائلاً: يلملـم : جبل ، أو قرية على ليلتين من مكة من جبال تهامة ، وأهله كنانة ، تنحدر أوديته إلى البحر ، وهو في طريق اليمن إلى مكة ، وهو ميقات من حج مـن هنـاك ، وماؤها من آبار وعيون " [٤].

من الطرق التي شملها التغيير مسار طريق الحج اليمني . ومن يقدم إلـى مكة المكرمة من جهته ، فانحرف الخط الجديد عن قرية السعدية حيث بها مسجد الميقات القديم كما جاء في تقرير الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام :

" أما الطريق الذي (مهدته) حكومتنا فهو يقع عن السـعدية غربـاً بنحـو عشرين كيلاً ، يمر على وادي يلملم ، وعند ممره إلى يلملم يكون وادي يلملم من مكة مائة وعشرين كيلاً ... " [١] .

وقد اهتمت حكومة المملكة العربية السعودية بتحديد موضع الميقات على الطريق الجديد فكونت لجنة من العلماء والخبراء لهذا الغرض فصدر عنها التقرير التالي : " بعد التجوال في المنطقة ، والمشاهدة تطبيق كلام العلماء ، وسؤال أهل الخبرة ، والسكان ... أن، مسمى يلملم الوارد في الحديث الشريف ميقاتاً لأهل اليمن ، ومن أتى عن طريقهم هو كل هذا الوادي المعترض لجميع طـرق الـيمن السـاحلي ، وساحل المملكة العربية السعودية ، وأن الاسم عليه من فروعه في سفوح جبـال السراة إلى مصبه في البحر الأحمر ، وأنه لا يحل لمن أراد نسكاً ومـر بـه أن يتجاوزه بلا إحرام من أي جهة من جهاته ، وطريق من طرقه .

وقد كان الطريق يمر بالسعدية ، وهي قرية فيها بئر السعدية ، وبها إمارة ومسجد قديم جدد الآن ينسب إلى معاذ بن جبل (رضي الله عنه) ، والسعدية تبعد عن مكة المكرمة اثنين وتسعين كيلاً ... ، والآن صار طريق الناس من الطريق الجديـد ، وصارت ضفة الوادي الجنوبية يحرم منها الناس ، ويحرم من يلملم أهـل الـيمن

---

(١) البلدان ، الطبعة الأولى ، (ليدن ، مطبعة بريل ، عام ١٨٩١هـ) ، ص ٣١٧ .

(٤) الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص ٦١٩ .

(١)تحقيقات جغرافية عن بعض الأماكن الدينية ، (الرياض ، مجلة العرب ، مجلد ٢١ ـــ٢٢ ، عام ١٤٠٧هـ) . ص ٧٣٣ .

الساحلي ، وسواحل المملكة العربية السعودية ، وإندونيسيا ، وماليزيا ، والصين ، والهند ، وغيرهم من جنوب أسيا ، والآن أصبح الحج غالبه عن طريق الطائرات أو البواخر التي لا ترسو إلا في موانئ جدة " [٢].

وبهذا هجرت كثير من المحطات والمراحل التاريخية القديمة ، واستبدلت المحطات الجديدة بها ، وما من شك أنه يتبع هذا تحول السكان ونقل نشاطهم إليها ، هذا ما لاحظه الرحالة الشيخ عاتق بن غيث البلادي في معرض حديثة عن هذا الميقات قائلاً : " وعندما عبد طريق اليمن ترك هذا الدرب (درب اليمن القديم)

يساراً وأخذ على الساحل ، فلم يمر بأية محطة مما ذكر "[١] . أصبحت المنطقة التي وضع فيها المسجد الجديد لميقات يلملم منطقة نامية تتكاثر فيها المباني ودكاكين البيع والشراء ومحلات خدمات السيارات واستراحات المسافرين.

أصبح الخط الإسفلتي المار بها خطاً رئيساً لسكان جنوب المملكة العربية السعودية ، ومواطني اليمن الشقيق ، تكثر فيه الحركة لسيارات النقل والشحن الكبيرة ، كما أن العمران في جنوب مكة المكرمة بدأ منذ سنين يزحف إلى تلك الناحية بشكل سريع ، وأصبح الطريق إليه مأنوساً حيث يظهر بين الفينة والأخرى منشآت ومبان على الطريق ، ومركز للشرطة وأصبح هذا الطريق يؤدي إلى طرق فرعية أخرى توصل إلى أماكن وقرى على جانبي الطريق .

مسجد ميقات يلملم الحديث :

يلحظ القادم إلى المسجد الميقات الواقع في الضفة الجنوبية من وادي يلملم منارتين شاهقتين في الفضاء ذواتي لون أبيض في شكل هندسي متميز تعلوان واجهة المسجد الذي بدأ متفرداً في ذلك المكان لا يزاحمه بناءً ، أحيط سور المسجد من الخارج بالإسفلت من جوانبه الأربعة ، وعلى بعد منه في الجهة الشمالية أصطفت الدكاكين والمحال الصغيرة لتوفر للحجاج والمعتمرين متطلباتهم

---

[٢] قلب الحجاز . ص ٢٠٤ .

[١] قلب الحجاز ، ص٢٠٤ .

من ملابس الإحرام والمرطبات والغذاء أتجد على بعد كيل واحد محـال خـدمات السيارات إلى جانبها يعض الاستراحات وفندق ونهى شعبي على الطراز القديم .

يؤدي إلى ساحة المسجد مدخلان أحدهما في الطـرف للجهـة الجنوبيـة الشمالية والأخرى في الطرف الأقصى للجهة الجنوبية المطلة على الغرب بسـعة تسمح بدخول السيارات والدخول والخروج لدى كثافة المرتادين مـن المصـلين والحجاج والمعتمرين . ساحة المسجد المحيطة به بلطت بالخرسانة البيضاء فـي الوسط ، ورصيف رخامي بعد ذلك حول المسجد . يؤدي إلى الساحة الداخلية باب مكسو بالرخام مكون من ثلاثة مداخل عالية الرواح تنتهي بشكل مثلث في الأعلى.

يقع في الجهة الشمالية من الساحة مساكن الموظفين ومكـاتبهم ، ومركـز للشرطة ، وآخر للتوعية الإسلامية للحج . الجهة اليمنى من باب المدخل وضعت لوحة إرشادية لمصلى النساء ، وفي الجهة اليسرى حمامات الرجـال بعـدد ٢٥ مرحاضاً ٧ على يسار الداخل من المدخل الرئيس للمسجد صفت صـنابير المـاء تحت رواق مغطى في الضلعين ما بين الشمال والجنوب من جهة الغرب يقابله في الجهة الأخرى مرافق الوضوء .

للدخول إلى صحن المسجد بابان غربي وشرقي كل واحد منهما مكون من ثلاث فتحات متساوية العرض بمساحة ١,٥٠ سم ، وارتفاع ٢,٢٠سم ، الأبـواب خشبية الصنع مثلثة الشكل في أعلاها . تقدر مساحة المسـجد ٢٥ × ٢٥ متـراً تقريباً ، الشكل الهندسي للمسجد مثمن الأضلاع ، يقع المحراب في الضلع الشمالي مزخرف زخرفة خشبية في الجوانب الثلاثة الأعلى واليمين والشمال ، في شـكل مثلث في أعلاه .

وعلى يمين المحراب أقيم المنبر بشكل عرضي ، يرقى إليه الخطيب بأربه درجات ، تصل إلى البسطة التي بها الكرسي الذي يجلس عليه الخطيـب ، ولـه (دربزان) خشبي . للإمام باب خاص يلج منه إلى المسجد في الجهة اليسرى مـن المحراب في شكل هندسي وزخرفة مطابقة لما في المحراب .

غطيت جدار المسجد من الداخل بحزام رخامي بارتفاع متر ونصف متـر حول الأعمدة ، وفي جميع جنبات المسجد . يتوسط صحن المسجد ثمانية أعمـدة

تعلوها قبة ذات ثمانية أضلاع ، مفتوحة الجوانب لينفذ منها الضوء مغلقة بزجاج ، شبابيك من الألمنيوم في شكل مثلث مزخرفة زخرفة إسمنتية من الخارج .

للمسجد ثمان نوافذ بشكل مستطيل ، ثم مربع صغير في الأعلى . تتوافر لهذا المسجد مكبرات الصوت ، ووحدات تكييف داخلية تقدر بعشر وحدات ، وثلاث عشرة مروحة سقف كهربائية ، زود بخزائن خاصة بحفظ المصاحف ، مصنوعة من الألمنيوم الأبيض ، إحدى عشرة خزانة في المنتصف بين الصفوف اثنان في الجهة القبلية ، وأربع في الجهة الجنوبية .

غطيت أرض المسجد كلها بسجاد خاص بالصلاة ، ذي لونين أحمر وبيج ، وعليه الشارة الرسمية (الشعار السعودي) السيفان والنخلة ، يضاء المسجد بالكهرباء ، حيث وضع ثلاث ثريات كبيرة في الرواق الأمامي ، الكبيرة تتوسط صحن المسجد ، وخمس أخرى صغيرة تحت سقف مصلى النساء ، موزعة في الرواقين الشرقي والغربي ، ووضعت على قواعد جبسية مزخرفة بثمانية رؤوس مثلثة ، ترتفع القبة فوق صحن المسجد بمقدار ثمانية أمتار لكافة الجوانب ، ثم ينحسر الارتفاع لدي مصلى النساء في الجهات: الشرقية والغربية والجنوبية على خمسة أضلاع من المجد قائمة على أطراف الصحن الداخلي ما عدا الجهة القبلية حيث يمتد الرواح مرتفعاً حتى السقف .

يطل مصلى النساء على صحن المسجد من شرفة مبنية يتللها فتحات صغيرة مثلثة الشكل ، مغلقة بنوافذ من الألمنيوم والزجاج .

خامساً : ميقات ذات عرق جغرافيا:

يقع ميقات ذات عرق إلى الشمال الشرقي من مكة المكرمة ، وإلى الشمال مباشرة من مسجد ميقات قرن المنازل (السيل الكبير) والسافة بين موقع ميقات ذات عرق والمسجد الحرام عبر درب الحاج العراقي حوالي ٩٠ كيلاً ، حيث لا يوجد في الوقت الحاضر طريق ممهد يربط موقع ميقات ذات عرق بأي موقع آخر ، وكذلك المسافة بين ميقات ذات عرق ومسجد ميقات قرن المنازل (السيل الكبير) حوالي ٣٥ كيلاً .

موقع ميقات ذات عرق فلكياً فهو : عند تقاطع دائرة عرض ٢١،٥٦،٠٩ شمالاً . وخط طول ١٠،٢٦،١٠ شرقاً[1] . وعلى ارتفاع ١٠٥٠ متراً فوق مستوى سطح البحر .

ينسب هذا الميقات إلى جبل يعلوه عرق أسود على شكل عرف يمتد لمسافة تقدر بـ ١٥٠٠ متر من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ، ويقع هذا الجبل على درب الحاج العراقي (درب زبيدة) في أعالي وادي الضريبة في منطقة قريبة من خط تقسيم الماء بين وادي الضريبة ووادي العقيق (عقيق عشيرة) حيث يشرف ذات عرق على العقيق ، أي إن القادم من الشرق بعد أن يجتاز عالية نجد ويقطع أعالي وادي العقيق أول ما يقع بصره على جبل ذات عرق الذي يصل ارتفاعه إلى ١١٤١ متراً فوق مستوى سطح البحر .

ولا يوجد في المنطقة قمة أعلى منه ، إلا أن مياه جبل ذات عرق تسيل في وادي الضريبة أحد روافد وادي فاطمة الثلاثة الكبيرة ، وهي وادي اليمانية ، ووادي الشامية امتداد وادي قرن ، ووادي حورة امتداد وادي الضريبة .

ثم يواصل الحاج سيره إلى وادي الشامية ومن ثم إلى المضيق وسولة وبني عمير لينضم إليه درب الحاج النجدي القادم من قرن المنازل (السيل الكبير)فوادي اليمانية فالزيما وسولة فبني عمير ، وبعدها يسيرون في درب واحد إلى المسجد الحرام ، ومنطقة أعالي وادي الضريبة وأعالي وادي العقيق تعد ممراً طبيعياً يربط تهامة بنجد عبر ثنية سهلة بينهما ، وبذلك يكون جبل ذات عرق من أبرز معالم تلك المنطقة ، مما يمكن المسافر الاستدلال عليه ومن ثم الوصول إليه بسهولة وتفادي الدروب والمسالك الوعرة الموجودة في الحرات المحيطة مثل حرة رهاط وحرة بسٍّ .

وذات عرق اليوم موقع أثري وكان مسجد الميقات موجوداً في الفترة التي كانت فيها الطريق المعتاد لسير القوافل والمسافرين من الحجاج والمعتمرين . وتوجد قبل ذات عرق وبعده آثار لبرك وآبار واستراحات على درب زبيدة لخدمة الحجاج والمسافرين وقد ظهرت فكرة إحياء هذا الموقع التاريخي إلى حيز الوجود

---

[1] تم تحديد الموقع باستخدام جهاز تحديد المواقع العالمي Magellan 5000D (GPS) وكذلك خريطة وادي الضريبة مقياس رسم ١: ٥٠,٠٠٠ .

بعد أن أصدر خادم الحرمين الشريفين في شهر رمضان عام ١٤١٤هـ أمره ببناء مسجد حديث لميقات ذات عرق على غرار المساجد التي بنيت في مواقع المواقيت الأخرى يتناسب مع أهمية هذا الموقع . إضافة إلى ذلك توجد لدى وزارة المواصلات مخططات لعمل طريق سريع يربط طريق الرياض بعشيرة مروراً بذات عرق ومن ثم السيل الكبير فمكة المكرمة وفي ذلك اختصار للطريق وإحياء لموقع تاريخي مهم .

ميقات ذات عرق تاريخياً:

يعد من الأماكن الإسلامية الأثرية المهمة الغنية بتاريخها وعمرانها ، حظيت باهتمام الخلفاء ، كما نالت نصيباً وافراً من الرصد التاريخي ، وبها كثيرٍ من الآثار الإسلامية ، لذا أصبحت معلماً لما حولها من المراحل والقرى تعرف بها ، وتحد المسافات من عندها .

يطلق هذا الاسم (ذات عرق) على منطقة كبيرة واسعة ، وقد ذكر الإمام أبو إسحق الحربي ذات عرق الميقات ، وذات عرق الخربة ، وتحديد كل واحدة منهما قائلاً : " ودون ذات عرق بميلين ونصف ميل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الميقات للإحرام ، وهو أول تهامة ، سمي هذا المسجد نجداً .

والمسجد الذي في ذات عرق الكبير فيه المنبر مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى ثمانية أميال من غمرة الميل الحادي عشر من البريد يسرة ، قبل البريد أم خرمان ، ومنه يعدل أهل البصرة ، وهو الجبل الذي عليه علم ومنظرة .

وأم خرمان كانت في هذا الموضع يسمى ذلك الجبل باسمها ، وأوطاس بها قصور ، وأبيات ، وحوانيت ، وبركة يسرة . ويقال إن النبي صلي الله عليه وسلم كان يرضع في تلك الناحية ، وثم مسجد يقال له مسجد عائشة رضي الله عنها بناه عبد الصمد بن علي(١) . فإذا انحدرت منه صرت إلى تهامة ، وثم ذات عرق الخربة ، سميت بعرق في الجبل ، فإذا صرت عند الثامن من البريد رأيت بيوت الخربة في الجبل ، وبئراً للأعراب بمنة الطريق " (٢).

---

(١) " ابن عبد الله بن عباس عم المنصور توفي سنة ١٨٥هـ، الخاسر ، حمد تحقيق كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، هامش ص ٣٤٧.

(٢) كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، ص ٣٤٦ ــ ٣٤٧ .

يعرض الإمام أبو اسحق الحربي لذكر جملة من تاريخ هذا الميقات في الجاهلية والإسلام وبعض من الآثار الإسلامية فيه من أهمها:

يذكر بسنده إلى أبي محمد بن زمام عن أبيه : " أن ذات عرق سميت على عرق في جبل ابيض بواد فيها يقال له ذات الحل ، وكان ذات عرق بها في جبل[٢] الجاهلية أبيات فلما كثر الناس حولت إلى ههنا وكان المهدي بنى بها مسجد المحرم .... وبذات عرق قصر ومسجد ، وهي لبني هلال بن عامر ، وبه بركة تعرف بمصير الوصيف بائنة عن المنزل مربعة ، وبركة زبيدية مدورة ، وبها من آبار السلطان نحو ثلاثين بئراً كلها بأصحابها يطول ذكرها ، والخمسة الآبار التي في البستان تعرف بيوسف ابن إسماعيل ... وعلى ميلين من ذات عرق عين ، وآبار ، ونخل على يسار الطريق ، وإذا جاوزت البريد تسير في عقاب صعبة ، جبال وخشونة ، وقبل الغمير بنحو من ميلين قبر أبي رغال ، وكان دليل أصحاب الفيل ، وعنده قبر آخر ..." [٣] كما ذكر الإمام أبو أسحق الحربي بسنده العديد من الآثار التي تنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم : من هذا قرية (رهاط) وثمارها والعيون التي تجري فيها :

" ثم بجانب العين من ذات عرق على ليلة مما يلي القبلة (رهاط) وهي قطائع لآل الزبير ، ولمحمد بن يوسف الجعفري ، عينهم تسمى عين النبي صلي الله عليه وسلم ... يحمل تمرها إلى مكة والطائف ، وأخبرني عبد اتلله بن عمر عن علي بن محمد بن زمام عن أبي خزاعة الرهاطي : أن رجلاً من بني ظفر ، ثم من بني سليم لقي النبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن يسقيه برهاط عيناً فأعطاه إداوة من ماء . فانحدر بها بوادي رهاط حتى صار إلى قبل الصخرة فسكبها على صفاة جرداء ، فأنبط الله الماء . فهي تسقي اليوم والليلة من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا فقير (فهي تسقي ألفي سقية بشط رهاط) من صميد النخل ، والموز ، والأترج . وهي اليوم لخلق الله للبوادي ، والحضري ،

---

(٢) هكذا (جبل الجاهلية) بالجيم ثم الباء الموحدة ولعل الصواب (حبل الجاهلية) بالجيم ثم الباء المثناة التحتية.

(٣) كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، ص ٣٤٦ ــ ٣٤٧ ، ٣٥١ ــ ٣٥٢ .

والقرشي ، والتاجر ، يحمل ثمرها إلى ذات عرق وإلى مكة المكرمة والطائف... "[1] .

اهتم بها الجغرافيون والمؤرخون فذكروا المراحل التي يقطعها الحاج إليها . والمنازل بينها وبين مكة المكرمة . وهو ما يعرف بطريق الركب العراقي الذي كان يسير منه المحمل العراقي ، تأتي قبلها (البويرات) " ثم يرحل إلى ذات عرق ويأخذ إليها في ست مراحل . ويرد ماءها . وهي ميقات العراقي . فمنها يحرم الحجاج .ويلهون بالتلبية .

ثم يرحل الركب إلى وادي نخلة . ويأخذ إليه في أربع مراحل ، ويرد ماءه ويستعد لدخول مكة ، وهو من أحسن وديان مكة وأنضرها ، وأمتع في عين من تمتع بنظرها ... "[2] . كما ورد لها ذكر في الشعر العربي . قال الإمام ياقوت الحموي رحمه الله: ".... وعرق هو الجبل المشرف على ذات عرق ، وإياه عنى ساعده بن جوية والله أعلم يصف سحاباً :

" لما رأى عرقاً ورجَّع صوبه هدراً كما هدر الفنيق المُصْعَب "

وقال ابن عيينة: إني سألت أهل ذات عرق : أمتهمون أنتم أم منجدون ؟ فقالوا: ما نحن بتهمين ، ولا منجدين .

وقال ابن شبيب : ذات عرق من الغور ، والغور من ذات عرق إلى أوطاس ، وأوطاس على نفس الطريق ، ونجد من أوطاس إلى القريتين ، وقال قوم: أول تهامة من قبل نجد مدارج ذات عرق ، وقال بعض أهل ذات عرق:

" ونحن لسهب مشرف غير منجد ولا متهم فالدمع بالعين تذرف "[3] .

يتضح من مجرى التاريخ وسننه أن ذات عرق كانت تنمو وتتسع عمراناً إذا توافر الأمن لطرق الحج ودروبه ، يكثر السالكون عبرها إلى مكة ، فينشط السكان ، بل تكون نقطة تجمع كل من يبتغي الرزق الحلال في تلك الأطراف . وإذا اختل الأمن تقلصت وانكمشت وآل أمرها إلى خراب ، " قال العلامة ابن فضل الله في كتابه المسالك: " والذي أقوله إن طريق الحاج من جهة العراق كان قد أوحش من

---

(١) كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، ص ٣٤٩ ــ ٣٥٠ .

(٢) الجزيري الحنبلي عبد القادر ، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة ، ج٢ ، ص ١٢٧٦ .

(٣) معجم البلدان ، ج٤ ، ص ١٠٨ .

السالك منذ أخذت بغداد ، وزادت الدولة العباسية ، تزلزلت قواعد الخلافة إلى أن وقع الصلح بين السلطان الملك الناصر وبين السلطان أبي سعيد بهادرخان ابن خربندة ... فحج الركب العراقي بخفارته تلك السنوات كلها ، نقضت بوفاة السلطان أبي سعيد ، فانقطع ذلك المعروف ، وتعطل ذلك السبيل سنين ، ولم يعد يحج أحد من تلك الآفاق وسكان تلك الممالك إلا من دمشق ...

وفي سنة اثنتين وستين وتسع مائة في ولاية حمزة ابن إسكندر لإمرة الحاج ورد جم غفير من حجاج العراق والبصرة وبغداد صحبة أمير عليهم يسمى موسى النكرواني ... وذكر لي بعض جماعته أن قصده أن يحج من القابل بمحمل فلم يتيسر له ذلك وسألت بعض خواصه عن السبب في تأخير الحج العراقي بالمحمل؟ . فذكر لي أن السبب في ذلك عدم الأمن من الطرقات ... وانقضى من تلك السنة ذلك الركب بتلك الهيئة المذكورة إلى هذا الآن " [1]. هذه حال ذات عرق الميقات في القرن العاشر الهجري ، ويبدوا أن أحوال الأمن في طريق الحج عبرها تدهورت فسلك الحجاج دروباً أكثر أمناً ، أو انضموا إلى الحجاج في مناطق أخرى يتوافر لهم الأمن فيها ، حتى بلع بها الحال على ما وصفها به علماء المناسك المكيون بعد القرن التاسع: " في منسك القطبي (ت ٩٨٨) . ذات عرق : سميت بذلك لأن فيها عرقاً وهو الجبل . وهي قرية قد خربت الآن ... "[2] . وفي منتصف القرن الرابع عشر الهجري يستمر حالها خراباً . كما ذكر هذا العلامة الشيخ محمد عابد مفتي المالكية بمكة قائلاً :

" ذات عرق : وهي قرية خربة في طريق من طرق الطائف ، أرضها سبخة تنبت الطرفا... "[3] .

---

(1) الجزيري الحنبلي . عبد القادر بن محمد ، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار مكة المعظمة . ج ٢ .
(2) عبد الغني . حسين محمد سعيد المكي ، إرشاد الساري إلى مناسك الملا علي القاري . ص ٥٥ .
(3) هداية الناسك على توضيح المناسك ، ص ٢٧ .